

والرد على أعدائه، وذمهم وعييبهم بأمر لا يكون له فيه عمل، ولا ينسب إليه، بل يكون هو وحده المتولي لذلك، الثائر لرسوله وأهل بيته.

وأيضاً فإن رسول الله ﷺ كان هو المقصود بالأذى، والتي رميت زوجته، فلم يكن يليق به أن يشهد ببراءتها مع علمه، أو ظنه الظن المقارب للعلم ببراءتها، ولم يظن بها سوءاً قط، وحاشاه، وحاشاها، ولذلك لما استعذر من أهل الإفك، قال: «من يَعذُرُنِي فِي رَجُلٍ بَلَّغْنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي»، فكان عنده من القرائن التي تشهد ببراءة الصديقة أكثر مما عند المؤمنين، ولكن لكمال صبره وثباته، ورفقه، وحسن ظنه بربه، وثقته به، وفي مقام الصبر والثبات، وحسن الظن بالله حقه، حتى جاءه الوحي بما أقر عينه، وسر قلبه، وعظم قدره، وظهر لأمته احتفال ربه به، واعتناؤه بشأنه<sup>(١)</sup>.

ويقول الدكتور محمد سعيد البوطي - رحمه الله -: «وكان من مقتضى الحكمة الإلهية في إبراز هذا الجانب الإنساني المجرد فيه ﷺ، أن يتأخر الوحي كل هذه الفترة التي تأخرها كي تتجلى للناس حقيقتان، كل منهما على غاية من الأهمية:

أما الحقيقة الأولى - فهي أن النبي ﷺ لم يخرج بنبوته ورسالته عن كونه بشراً من الناس، فلا ينبغي لمن آمن به أن يتصور أن النبوة قد تجاوزت به حدود البشرية، فينسب إليه من الأمور أو التأثير في الأشياء ما لا يجوز إلا نسبه لله وحده.

أما الحقيقة الثانية - فهي أن الوحي الإلهي ليس شعوراً نفسياً ينبثق من كيان النبي ﷺ كما أنه ليس شيئاً خاضعاً لإرادته أو تطلعه وأمنيته»<sup>(٢)</sup>.

(١) «زاد المعاد» (٣/٢٦١).

(٢) «فقه السيرة» (ص: ٢٢٣).